**المحاضرة 24:قيمة المنطق التقليدي**

تهدف هذه المحاضرة إلى جعل الطالب يكتشف حدود المنطق الصوري.

إذا كان المنطق الأرسطي قد تسيّد لفترة طويلة، في القرون الوسطى، بل وحتى في العصر الحديث، إذْ يرى كانط أن المنطق الأرسطي وُلِد كاملاً.

لكن هذه القيمة وضعت موضع شك بعد ذلك، إذ هاجمه فلاسفة وعلماء كُثر، واعتبر عقيما، وأنه مصادرة عن المطلوب.

**عقم القياس وقلة جدواه:**

هاجم مفكرو الإسلام، من متكلمين وأصوليين من القرن الخامس الهجري، وفي صورة منهجية بالتحديد لدى شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية (1263–1328)، وقد خصص لهذا الغرض كتابه الشهير "الرد على المنطقيين" ويسمى أيضا: "نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان"، فابن تيمية لم يقتصر رده في هذا الكتاب على أرسطو فحسب، بل تعداه إلى المشائين المسلمين من أمثال الفارابي وابن سينا، فهم خالفوا حتى معلمهم أرسطو، في انكارهم افتقار العالم إلى غيره في خلقه وحركته، وهذا ما لم يقل به أرسطو[1]فالمنطق الأرسطي لا يأتي بشيءٍ جديد، لأنه لا يضيف للأذهان شيئاً عما هو في الأعيان، كما أن الذكي لا يحتاجه، (قد يصل إلى حقائق جديدة بطرق أخرى)، ولا يستفيد منه الغبي.

ففي مطلع عصر النهضة نرى النقد اللاذع لدى ثلاثة من الفلاسفة والعلماء الأوروبيين، مثل ديكارت وبوانكاريهوجوبلو. فالقياس عندهم عملية تحليلية، وإذا كان الأمر كذلك فهو عملية

[1]– ابن تيمية (تقي الدين): كتاب الرد على المنطقيين" ويسمى أيضا: "نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان"، تحقيق: عبد الصمد شرف الدين الكتبي، راجعه:مُحَمَّد طلحة بلال منيار، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص ص568، 578.

عقيمة، إذا كانت النتيجة هي جزء من المقدمات، فالعملية هي تحصيل حاصل لا طائل من ورائها Totologie. فالتجربة وحدها تسمح بالتقدم، وهي التي تعطي الفكر قوته[2].

أما انتقادات ديكارت، فقد دونها في كتابه "مقالة في الطريقة"إذ يرى أن أقيسته وأكثر تعاليمه الأخرى لا تنفع في تعليم الأمور بقدر ما تعيننا على أن نشرح لغيرنا من الناس ما نعرفه منها. أو هي كصناعة تعيننا على الكلام بدون تفكير عن الأشياء التي نجهلها. وفي القاعدة العاشرة يستخف: (بتلك التعاليم التي يظن أصحاب الجدل أنها توجه العقل البشري، فتعرض عليه بعض الصور الاستدلالية القوية الإقناع إلى درجة أن العقل الذي يثق بها، وعلى الرغم من بقاءه عاطلا ومن إهماله لفحص الاستنتاج ذاته للتحقق من بداهته، فإنه يستطيع أحيانا بمقتضى الصورة وحدها أن يستنتج شيئا يقينيا) فالقياس لا يؤدي إلى الاختراع: (إن أصحاب الجدل لا يستطيعون وضع قياس صحيح يؤدي إلى نتيجة صادقة إن لم يحصلوا مادته من قبل،... إن الجدل العادي لا ينتفع به الباحثون عن الحقيقة ولا يصلح أحيانا إلا لبيان أسباب معروفة بصورة أفضل لغيرنا– القاعدة العاشرة).[3]

أما بوانكاريه، فإنه يبدو لأول وهلة بانه يشاطر هذا الرأي (إن القياس لا يمكنه أن يعلمنا شيئا جديدا بالذات: وإذا كان كل شيء إنما يصدر من مبدأ الهوية فإن كل شيء يمكن أن يرتد إليه). إلا أنه ينبغي أن نلاحظ عدم دقة القائل وتردده. فلقد رأينا أن الاستدلال بالمعاودة الذي هو الاستدلال الرياضي الأمثل ينحل في رأيه إلى سيل من الأقيسة، فلا يكون القياس عندئذ عقيما. –**القياس دور فاسد:**

القياس دور فاسد: لقد سبق للشكاك اليونان أن أثاروا هذه الصعوبة، إذ ورد ذكرها في آثار سكستوسأمبيريقوس الذي صرح بأن القياس مصادرة عن المطلوب، فلم تكن الكبرى لتكون صادقة لو لم تكن النتيجة صادقة من قبل.

---

[2]–على سامي النشار، المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة، المرجع السابق، ص 521–322

–[3]جول تريكو، المنطق الصوري، المرجع السابق، ص 377–378.

وعندئذ ماذا يبقي للقياس أن يثبت؟ وباختصار فإنهم يستنتجون أنه لا يمكن لأي استدلال من العام إلى الخاص أن يثبت شيئا. إذ لا يمكن أن تستنبط من المبدأ العام وقائع جزئية أخرى غير التي يفترضها المبدأ ذاته معروفة. إن هذا الحل يبدو لي لامرد له).

والحقيقة أن "مل" يرى أنه لا وجود للاستدلال الاستنتاجي. بل يوجد استنباط من الجزئي إلى الجزئي. فلا يكون للقياس إلا دور التحقق من الاستنباط الجزئي وإعداده: (إنه ضرب من الاختبار الذي يتمثل أول الأمر في التعبير عن النتيجة الجزئية المطلوبة بقضية عامة للنظر في صلاحيتها الاحتمال العموم) بقصد تجنيبنا الإهمال والحيلولة بيننا وبين الانصياع لرغبتنا ولتخيلنا. ويبقى الاستنباط دائما جزئيا. ولا يكون توسط القضية العامة من صميم الاستدلال. يقول "مل": (إن إدراج قضية عامة لا يضيف شيئا للدليل)

وباختصار فإن القياس دور فاسد ليست له قيمة نظرية، إلا أن منفعته العملية والنفسية على نحو سواء لا يمكن في نظر ج س مل إنكارها[4].

ولذلك يرى خصوم المنطق الأرسطي، أن هناك شك في قيمته، خاصة بعد ظهور الطبوع العلمية والمنطقية الجديدة وتبدل التصور الذي ظل سائدا ألاف السنين وسيطر على الفكر الإنساني فوجهت له جملة من الانتقادات اللاذعة وتأسس وفق ذلك منطق جديد سمي بالمنطق الرمزي وكان أكثر خصوبة وإنتاجا من الصوري مع بروز المنطق الاستقرائي الذي غير من البحث المنطقي الى ميدان التجريب الحسي ، مع تطور المنطق الجدلي الذي أعطى تصورات فلسفية ذات طابع جديد ، ما يعني تلاشي أهمية منطق أرسطو، كما تؤكد البحوث المنطقية انه لم يعد ضروريا فهناك من كبار الباحثين ممن لم يتخرجوا على منطق أرسطو، ورغم ذلك كانت بحوثهم صحيحة ومنطقية، مما يدل دلالة واضحة على أن هذا المنطق أصبح تاريخيا، غير كافٍ في توجيه العلوم الطبيعية والرياضية والاجتماعية، ويبقى دوره محدودا بالنسبة للمعرفة، وأصبح لا يتناسب مع طبيعة الدراسات العلمية الجديدة، بعدما كان أكمل العلوم وأدقها، وإذا نظرنا إلى المعارف الإنسانية، نجد بأنها تستطيع توجيه معارفها وتقويمها دون إخضاعها إلى رقابة المنطق الصوري، وهذا ما يعزز التأكيد على أن المنطق الصوري قد فقد مكانته التي تمتع بها سابقا، ولا يشكل دورا محوريا للمعرفة الإنسانية، ولا يمكن اعتباره الآلة التي تعصم الفكر من الوقوع في الخطأ.

[4] جول تريكو، المنطق الصوري، المرجع السابق ص 379-380